سلسلة الأوائل للفتيان

أولُ مَنْ لُقِّب بأميرِ المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بقلم
محمد ثابت توفيق

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان ـ الرياض.

٧٣ص، ١٧×٢٢ سم (سلسلة الأوائل للفتيان)

ردمك: ٩-٦٩٣-٢٠-٩٩٦٠

١- عمر بن الخطاب ابن نفيل ٢- الصحابة والتابعون.

أ - العنوان ب- السلسلة

ديوي ٢٣٩،٩ ٢١/١٨١٥

ردمك: ٩-٦٩٣-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨١٥/٢١

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

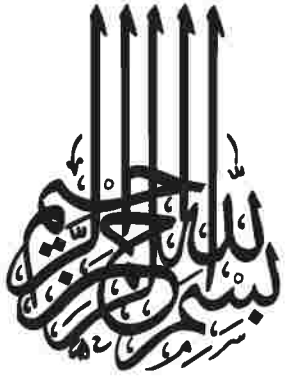
بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
رجلٌ شديد القوة

رجلٌ تعرفُه قريشٌ كلُّها.

في الجاهلِّية قبل بعثةِ الرسولِ العظيمِ، وقبلَ أن يعمَّ نورُ الإسلامِ الكون كلَّه، فمنهُم من عُرفَ لشدَّة جمَاله، وأصلِه العَالي، ونسبِه الرفيع، ومنهُم من انتشَر ذكرُه فيها لحسْن خلقُه، وأدبِه الشديد، وحكمتِه في التصرُّف، ودرايتِه بأخبارِ الناسِ، أما الرجلُ الذي نتحدثُ عنهُ الآنَ فلقدْ عرفَ لسببٍ آخرَ إِذْ إنه كانَ رجلاً يمتازُ بالقوة الشديدة، ولا يجرُؤ أحدٌ على الوقوفِ أمامَه(١).

لقدْ كانَ واحداً من الرجالِ الذينَ تفتخِر بهم قريشٌ وتدَّخرُهم للمهَامِّ الصعبةِ، والحروبِ القاسيةِ، أما عن المكانِ الذي كانَ يسكُنه، فلقدْ اتخذَ من الجبلِ بيتاً يقيمُ فيه، وكان اسُم الجبلِ عاقراً ثم نُسِبَ إِليه بعدَ ذلك فصارَ اسمهُ جبل عمر، لذلك عرفَه الناسُ فظاً غليظاً قوياً في معاملته لهم(٢).

اسمه.

إِنه عمرُ بنُ الخطابِ بن نفيْل بن عبدالعزَّى، من قبيلة بني عديّ وأمُّه

---

(١) سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ـ ص ٢٩٤ ـ مكتبة شقرون.

(٢) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ـ ص ٥٨ ـ الزهراء للإعلام العربي.

حْنتَمة بنتُ هاشِم بن المغيرَة بن عبدِالله بن كمر بن مخزوم فلقد اجتمَع له من الأصلِ الشريفِ ما يُحسَد عليه.

صفاته.

أما عنِ الصفاتِ التي تميزَ بها عمرُ فليس من السهلِ أن ينسَاهَا مَنْ عرفَه ولو مرَّةً واحدةً! فهوَ رجلٌ مجدولُ اللحْم سمينٌ، يميلُ لونُ وجههِ إلى الحْمرَة، غليظُ القدمينِ والكفينِ، مع طولٍ شديدٍ في قامتهِ أعطاه شموخاً جعلَه أقربَ إلى العمْلاقِ، كما كان عريضَ المنكبين ـ ما بينَ الكتفينِ ـ، ومن يملك هذه الصفات كان من الصعبِ أن ينساهُ من قابله مرَّة، وحتى الذي لم يقابلْه ولم يسبقْ له أن تعرفَ به لمْ يكنْ يخفى عليه عمرُ وكيفَ وهو المميزُ إذا سارَ بينَ الناسِ فهوَ أعلاهم رأْساً منْ فرطِ طُوله.

وبتلكَ المميزاتِ الجسميةِ التي وهبها اللُه لهُ كانَ عمرُ لا يخافُ في حياته من أحدٍ قط، مهما كانَ، ولم تمرُ به لحظةُ اضطرابِ أمَام أي حدثٍ مهمَا عظمَ، ووصفَه الذينَ عرفُوه بأنهَّ إذا تكلَّم أسمَعَ، فصوتُه قويٌّ عالٍ كافٍ لأن يُسمعَ الناسَ من المرةِ الأولىَ، وهو أيضاً: إذا مشى أسرَع سريعٌ في خطواته، إذا مشَى لمْ يتمهل، ولمْ يتأخر، كذلكَ فإنَّه: إذا ضربَ أوجع، أمَّا إذَا امتدتْ يدُه بالضربِ فإنه يوجعُ مَنْ يضربُه، وإنه رجلٌ مميزٌ في كل أفعاله. قدْ ورثَ من طِباع أبيهِ شدةً لا تعرفُ الضعفَ، وقدرةً على اتخاذِ القرارِ

السريعِ الحاسِم الواضح في أبسطِ الأمورِ وأسرعِها في سرعةٍ لايداخلُها ترددٌ، أما عن هدفِه فإنَّه واضح أمام عينيهْ ولا يقبلُ غيْرَهُ.

عرفَ عنه الناسُ كلَّ ذلكَ، وعرفُوا أنَّه قَويُّ الشخصية، لا يضعُ نفسهُ ولا يخطُو بقدميْه إلا فيِ المكانِ الصحيحِ المناسبِ، لذلك قدروُه واحترمُوه، بل خَافوه(١).

موقفُ عمرَ من الإسلامِ.

بعثَ اللهُ رسُوله الخاتمَ محمداً بالخيرِ للناسِ، وأذنَ لنورِ الإسلامِ أن ينتشرَ في الكونِ كلِّه، لكنَّ قريشاً ما كادتْ تعلمُ بهذهِ الحقيقةِ حتى ثارتْ وصممتْ على محاربةِ الرسُول العظيمِ حتَّى النهايةِ، وكانَ عمر بن الخطاب واحداً من أهل مكَّة الذين عادوا المسلمين بل يقالُ: إن معاداته تكادُ تتساوَى مع معاداةِ أهل مكةَ جميعاً! وكانتْ مواقفُه لا تُبَشّرَ بإسلامهِ أبداً.

ومرتِ الأيامُ والمسلمونَ يعانون الأَذى الشديدَ، وفيهمْ الضعيفُ الذي لا يستطيعُ ردَّ العذابِ عن نفسهِ، والمشركونَ لا يرحمونَ واحداً من المسْلمين يقعُ بين أيديهمْ لفقرِه، أو ضعفهِ أو بعدهِ عن أهلهِ، حتى لقدْ توفيتْ الصحابيةُ السيدةُ سميَّة تحت شدَّة التعذيبِ، وذاقَ ابنُها وزوجُها من فنونِ الآلامِ ما كانَ يذهبُ عنهُما العقلَ، وكثيرٌ غيرهمْ من الصحَابة الذين عُذبُوا،

(١) خلفاء الرسول ـ خالد محمد خالد ـ ص ١٢٢ ـ دار الفكر.

فلما رأى الرسُول ما عليْه أصحابه من الضعف، أمَرَهُم بالهجرةِ إلى الحبشة لأنَّ فيهَا ملكاً عادلاً لن يظلمهُم، وخرجَ الصحابةُ من مكةَ مُهاجرين، هَاربين بدينهمْ من ظلمِ المشركينَ وتعذيبهمْ.

موقفٌ طريفٌ.

كانت الصحابيةُ أمُّ عبدالله بنت أبي خيثمة إحدى المهاجرات قد خرجتْ سراً هي وزوجُها عامر، كيْ لا يعلَم بخروجهمَا أحدٌ من أهلِ مكةَ فيمنعهمَا، وهما من المستضعفينَ الذين لا يملكُون ما يدافعُون به عن أنفسهم، وبينمَا هما في الطريقِ إذ ذَهب زوجها إلى أمرٍ يخصهمَا، وفي حين غياب زوجها جاءَ «عمرُ» وكانت «أم عبدالله» تعرفُه حق المعرفةِ لأنه كان يؤذيها هي وزوجها في الجاهلية أذىً شديداً، ولعلها حينَما رأتْه خافتْ منْه، بينمَا وقفَ هوَ أمامها متسائلاً:

– إنهُ الانطلاقُ يا أمَّ عبدالله؟.

هل هو الخروجُ من مكةَ؟ كذا تساءَل، فقالتْ أمُّ عبدالله:

– نعمْ واللهِ، لنخرجَنَّ في أرضِ اللهِ، آذيتمونَا وقهرتمونا، حتى يجعَل اللهُ لنَا مخرجاً.

بلسانٍ بليغٍ أجابتْ الصحابيةُ الجليلةُ، وبصراحةٍ ووضوحٍ قالتْ له نعمْ ثم

وضحَت أنها ستخرجُ هي وزوجُها، قبلَها أقسمتْ باللهِ أنهمَا سيذْهبان في أرضِ اللهِ، لأنَّ قرْيشاً ـ وفيها عُمر ـ قد تسببتْ في إيذائِها والمسلمينَ، ولقد عذبتهُم عذاباً شديداً أشعرهم بالظلمِ لذلكَ ستخرجُ حتى يأذنَ اللهُ لهَا ولزوجها وللمسلمينَ جميعاً بالفرجِ، ويُوجِد لهمْ مخرجاً مما همْ فِيه، ولقد استولت عليها الدهشة الشديدة عندما أجابها «عُمر» في رحمةٍ لمْ تتعودْها منْه:

– صحبكُم اللهُ.

تقولُ الصحابيةُ الجليلةُ:

– ورأيتُ له رقةً لمْ أكنْ أراهَا، ثم انصرفَ وقدْ أحزنهُ ـ فيمَا أرى ـ خروجُنا ـ لقدْ شاهدتُ منْه للمرةِ الأولى رقَّةً في الردِ، وتأثراً في نفسهِ لحالهَا هي وزوجُها، فبدا على ملامِحه حزنٌ عليهمَا. فهما يخرجَان وما معهُما شيءٌ يذكرُ، ويتركَان وراءهُما كلَّ مالهُما؛ ذلكَ لأنهمُا اختارا عدم التخلي عن دينهما، والاستجابة لضغْط المشركين عليهِما، هذه الرقةُ، وذلكَ الحزنُ اللذان ظهَرا على عُمر ورأتهْما أمُّ عبدالله كانَا واضحين، ولكنَّها لم تصدقْ نفسها فهما صادِران عن عُمر الذي اشتَهر بالشدَّةِ، وما عرفته أم عبدالله نفسُها إلا قاسياً عليْها، معذِّباً لهَا، وها هِي تراهُ في موقفٍ مختلفٍ تماماً، أفلا يَحق لَها أن تشكَّ فيمَا تَرى، ثم إنها انتظرتْ حتَّى عادَ زوجُها، وقدْ قضىَ الأمْر الذي كانَ قد ذهبَ إِليه، فقالتْ لَه:

– يا أبا عبدالله، لو رأيت عُمرَ آنفاً ـ سابقاً ـ ورقَّته وحزنه عليْنا.

إنهَا تخبرُ زوجَها عامراً بما حدَث، تتمنَّى لو أنه كانَ معَها منذ قليلٍ حينمَا كانَ عُمر موجوداً، فرآهُ، وشاهدَ رقَّته وحزنَه لحالهِما. فقالَ زوجُها:

– أطمعتِ في إسلامهِ؟.

لقد استشفَّ بين كلماتِها أمراً، لقدْ علم أنَّها رأتْ في عُمر رقَّة ولِيناً فأرادتْ أن يهديه اللهُ إلىَ طريقِ الرحمةِ والرفقِ، إلى دينِ الرقَّة واللِّين، إلى الإسلامِ، سألها زوجُها في تعجب واستنكار أطمعْت في إسلامهِ أطمعتِ، لفظ يدلُّ على استبعادِ إسلامِ عُمر بن الخطاب تماماً، وحينَما قالتْ له زوجُه:

– نعمْ.

ردَّ عليها بما يفيد استحالة دخول عمر في الإسلام، وهنا تعلل أمُّ عبدالله قولَ زوجهَا بأنَّه:

– يئس منه لما كان يَرى من غلظَته وقسْوته على المسلمين(١).

لأن عامراً كان ينظر إلى عمر وفي رأسه الصورة القديمة المترسخَة لديه عنه، صورة الرجل الغليظ الطبع، القاسي المعاملة، الشديد على المسلمين، قال عامر ذلك ولمْ يدرِ ما ادخرَه اللهُ في علمِ الغيبِ لـعمرَ بنِ الخطابِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ـ ص ص ٢٩٤، ٢٩٥.

دعاءُ الرسولِ العظيم.

وهاجَر مَنْ هاجَر من الصحَابة إلى الحَبشَة، وبقي من المسلمينَ في مكةَ عددٌ غير قليلٍ يعاني، وتلفتَ الرسولُ حولَه ـ يشاهِد أحوَال صحابتهِ ـ ويشعُر بالحزنِ الشديدِ عليهمْ، ويرجُو لهُم الخلاصَ مما يلاقونَه من العذابِ، وتلفَّت الرسولُ العظيم حولَه ناظراً في المشركِين راجِياً أن ينْعم اللهُ على أحدٍ أقويائِهم، فيكونَ بإسلامهِ حامياً للمسلمِين، وما وَجَد الرسُول هذه الصفَة متوافرة إلا في أحدِ رجلين: عمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب فكانَ الرسولُ العظيم إذا قابلَ أحدَهُما قال:

– اللهم اشددْ دينكَ بأحبِّهما إليكَ.

هذا الدعاءُ الكريمُ من الرسولِ لربِّه أن يُقَوِّيَ الإسلامَ بدخولِ أحبِّ الرجلين إلى اللهِ، والرسولُ ـ كما نعلم ـ مستجابُ الدعاءِ.

وفي مرةٍ ثانيةٍ دعَا الرسول فقال:

– اللهمّ أعزّ الدّين بعمر بن الخطاب.

وكان الرسولُ العظيم ـ بمعرفتهِ بدقائقِ الأنفُس، وبطبيعَة من حولَه من الرجالِ ـ يعلَم أن عمرو بن هشام ـ الذي يُكَنَّى بـ أبي جهل ـ رجلٌ لا خيرَ فيه، وأن طبْع نفسِه القاسِي العنيف قدْ رُكبَ على غيرِ نفس، أو رحمة، وكانت أفعال أبي جهل تُصَدِّقُ رؤيةَ الرسُول فهو لا يزدادُ مع الأيامِ غيرَ قسْوة، وسوءِ

طبعٍ، وقدَّر اللهُ أمراً لديْه، فكانتْ هذه الدعْوة من نصيب عمر بن الخطاب، حيث استجاب الله لدعوة رسوله بقوله:

– اللهمَّ أعزّ الدين بعمر بن الخطاب(١).

عمر القوي.

خصَّ الرسولُ بهذا الدعاء عمر لأنَّه القويُّ في صفاتِ جسَده، حتى أنه كانَ يمسكُ الحصَان بيدِه اليمنَى، من أذنه اليسرىَ، فلا يستطيعُ أن يتحركَ من مكانِه حتى يقفزَ عليْه راكباً، فيخيَّل لمن يَراه فوقَه، شديدَ التحكمِ فيه، على قوةِ الحصَان!.

وعمر علَى ذلكَ كانَ رصِينا، شديدَ العقلِ، لمْ يكنْ كأبي جهل بل إِنه يحدثُ عن نفسِه في تلكَ الفترة فيقول:

– ما داعبتُ أمةً، ولا جالستُ إِلا لُمة، وما دأبتُ إِلا في حملِ جريرة، أوْ خيلٍ مغيرةٍ(٢).

إِنه يقول إِنه ما عرفَ اللهوَ الذي كان يعرفُه أمثالُه من الشبَاب، وأمثالُ أبي جهل من قليلِي العقل، فما سعَى ليلاعبَ امرأةً لا تحل له، وما جالسَ إِلا صاحبًا مقارباً له في السِّن والخبْرة، وما اعتادَ الاشتراكِ إِلا في مواسَاة صاحبِ

(١) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ـ ص ٥٩.

(٢) أحلى السمر في سيرة ـ عمر ـ محمد إبراهيم سليم ـ ص ١٣ نقلاً عن البيان والتبيين.

جنَاية أو ذنبٍ كبيرٍ، للتخفيف عنه، أو في الاشترَاك في معركَة فيها الخيلُ هاجَمة وهو في المقدمةِ.

هذه هي صورة عمر الكاملة في الجاهلية رسمَها لنفسه بنفسه بصدقٍ ومن أجلِها اختارَه الرسُول وأصابتْه دعوتُه العظيمَة، فكانتْ في محلِّها.

عمر يريد قتل الرسول.

كان الرسُول وأصحَابه ممن لم يهاجرُوا إلى الحبشَة يجتمعُون في بيتٍ عند الصَّفا كان عددُهم قريباً إلى الأربعين، فيهم الرجالُ، وفيهم النساءُ وكان من بينهمْ فاطمةُ ابنةُ الخطابِ أختُ عمرَ وزوجُها سعيدُ بنُ زيد قد أسلما، وتعودا الذهابَ إلى تلكِ الدارِ لتعلُّم القرآن، والجلوسِ إلى الرسولِ العظيم ولكنهما أخفَيا خبرَ إسلامِهما عن عُمَرَ خوفاً منه وتجنباً لأذَاه.

وحدثت عمر نفسُه ذاتَ يوم بأمرٍ عجيبٍ، فأخذَ سيفَه وخرجَ من دارِه فقابلَه نُعيم بنُ عبدالله وهو رجلٌ أسْلَم ولكنه كان يخفي إسلامه خوفاً من قومهِ، سأل نعيم عمر:

– أين تريد يا عُمر؟.

يريد أن يعلَم منه اسم المكانِ الذي يريُد الذهابَ إليهِ، فقالَ عمر:

«أريدُ محمداً هذا الصابئِ، الذي فرقَ أمرَ قريشٍ، وسفَّه أحلامَها، وعابَ

دينَها، وسبَّ آلهتها، فأقتلَه».

الرسُول يريدُ له الهدايَة، ويدعو اللهَ كي يرشدَه إلى الخيرِ الوفيرِ الإسلام وهو يريدُ قتلَ الرسُول، وتحدثُه نفسُه بما يتناقَله كبارُ المشركين من أباطيلَ وأكاذيبَ يخدعون بها أنفسَهم، ويبررُون ضلالَهم عن اتِّباعِ الحقِّ والسيرِ خلفَ الرسولِ، امتلأت نفسُ عمرَ بما يردِّده المشركُون وخرجَ عازماً على قتلِ الرسول، ولما سمعَ منه نُعيم هذه الإجَابَة قال له:

– والله لقد غرتْك نفسُك من نفسِك يا عُمر، أتُرى بنيِ عبدمناف تاركيك تمشِي على الأرضِ وقد قتلتَ محمداً! أفلاَ ترجعُ إلى أهلِ بيتِك فتقيمَ أمرهُم.

يخبره نُعيم بالحقيقَة، فعُمر الآنَ قد أخذَه الغرُور وهو لا يدري، ثم يسأَله كي يوضِّحَ له حقيقَة الأمرِ، وهلْ يتوقَّع بعد أن يقتُلَ الرسُول أن يتركه قومُه يحيَا وقد قتلَ واحداً منهُم؟ إنه يسألُ مستقبِحاً ما يريدُ أن يفعلَه، يسألُه ولا يطلبُ منه إجابةً لأنهُ يعاتبُه بالسؤَال، ثم يوضحُ له حقيقَةً أخرَى قد غابتْ عنه إذ يشيرُ عليه بأن يرجعَ إلى أقربِ الناسِ إليه أهل بيتِه فيتصرفَ معهُم أولاً، قالَ عمرُ على الفورِ:

– وأيُّ أهل بيتي؟.

يتساءل عمر عمن يقصدُه نُعيم بكلماتهِ، ويجيبُه نُعيم قائلاً:

– ختنك ـ زوجُ أختِك ـ وابن عمِّك سعيدُ بن زيد بن عمرو، وأختُك فاطمةُ بنت الخطابِ، فقد ـ والله ـ أسلَما، وتابَعا محمداً على دينهِ فعليكَ بهمَا(١).

إنه يخبرهُ بالحقيقَة التي لا يعلمُها، فهو يريدُ قتْل الرسولِ لأنَّه يدعو الناسَ إلى الإسلامِ في حين أن أختَه وزوجَها مسلمَان. إنه يريدُ توضيحَ الأمر له فالإسلامُ هو دينُ الله، والرسُول على حقٍّ، والمشركُون الذين يطيعُ كلامَهم حتى الآن، هم الصابئُون الخارجُون عن الدينِ، والدليلُ أقربُ ما يكونُ إلى عمرَ نفسهِ، والدليلُ أن أختَه وزوجَها قد أسلَما.

عودة عمرَ إلى أخته.

غضبَ عمرُ غضباً شديداً حتى وصلَ إلى الدارِ التي بها أختُه وزوجُها، ورجعَ والغضبُ قد ملأ عليه جوانبَ نفسه، فلما وصلَ وجدَ عندهُما خباب ابن الأرت وهو أحدُ الصحَابة يعلمهُمَا آياتٍ من سورةِ طه فلما سمعُوا صوت عمر، أسرع خبابٌ بالاختفاءِ داخلَ الدارِ، وأخذتْ أختُه الصحيفَة فأخفَتْها أسفلَ فخذِها، وكان عمرُ قد استمعَ إلى صوتِ تلاوة خبابٍ حينمَا اقتربَ من الدارِ، فلما دخلَ عليهمَا قال:

– ما هذه الهينمة التي سمعتُ؟.

---

(١) سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ـ ص ٢٩٥.

والهينمة هي صوت الكلام الذي لا يفهم، إنه يتساءَل عن الصوتِ الذي سمعَه قبل الآن ولم يفهمْه، فقالاً له:

– ما سمعت شيئاً.

فقال عُمَر:

– بلى واللهِ لقد أخبرتُ أنكما تابعتُما محمداً على دينه.

وهنا كان الغضبُ قد ذهبَ بعقْله، فهو الذي يريدُ قتل الرسولِ العظيم يعرفُ وهوَ في الطريقِ إِليْه أن أختَه وزوجَها قد أسلمَا، ويقالُ له ارجعْ إِليهمَا أولاً فتصرفْ معهما ـ إِن كانتْ لديك القدْرَة على تغييرِ ما بهما من إِيمانٍ، وذلك الذي يخبره بهذه الكلماتِ هو نُعيم بنُ عبدالله مسلم يُخفي إِسْلاَمه، ويقصِد من كلماتِه معنىً آخَر، ذلك هو الذي زادَ من غيظِ عُمر، إِنه يريدُ أن يبلغَه أن الإِسلامَ هو دينُ الحقِّ، وأنه مَهْمَا فعَل فلن يستطيعَ أن يطفىء نورَ اللَّه، أو أن يمنَع هدايتَه عن البشرِ، وإِلا فَها هِي أختُه وزوجُها قد أسلمَا، فتصرَّف معَهُما، كانَ الغضبُ قد اشتَد على عمرَ حتى أن يدَه امتدتْ على زوجِ أختِه بالضربِ، وأسرعتْ أختُه تدافعُ عن زوجِها، فضَربَها حتى شجَّ رأسَها، وسَال منه الدَّم، فلما فعَل بهمَا ذلكَ قالاً لَه:

– نعمْ لقد أسلمْنا وآمنَّا بالله ورسُوله فاصنعْ ما بدَا لك.

إِنها الشجَاعة في المواقِف الشديدةِ، عُمر قد تخلَّى عن اتزانِه، وكانَ

حتى هذه اللحظَة مشركاً لم يؤمنْ بالله بعدُ، ولكن حتى تقَاليد وعاداتِ المشركين تمنعُ أن يمدَّ الرجُل يدَه على امرأةٍ بالضربِ أو بالأذَى، ومن هذه المرْأة؟ إنها أختُه التي تربتْ معَه، وأحبَّها وأحبتْه، وكانَ لَه في قلبِها مكانةٌ خاصةٌ، وكانَ لها في قلبِه مكانةٌ عاليةٌ، إنَّهَا الأخوَّة، ينسَى عُمر ذلك كلَّه في لحظةِ انفعَال وشدَّة ضيق، فيضرِب زوجَها، ويضربُها، فلا يملكُ إلا أن يصدمَاه بالحقيقةِ التي لم يصدقْها، ولا يجبُ أن يسمَعَها، لقد حاولاَ أن يتقِيا شرَّه في البدَايَة، فلمَّا لم يفلحَا ما كانَ لهمَا إلاَّ أن يخبِراه بالأمرِ، بل زادَا فقالاَ له أن يفعَل ما يريدُ، فإنهُمَا لن يعودا عن الإسلامِ مهمَا حدَثَ.

قالت أختُه هذه الكلماتِ بينما الدمُ يسيلُ منها، ونظرَ عمرَ إليهَا فأحسَّ بالندمِ على ما فَعَل لها، وأخذتْه الرحمةُ، فتراجعَ عن موقفهِ الظالِم لها ولزوجِها، وهدأتْ نفسُه، وذهبَ عنه غضبُه فقالَ لأخْته:

– هاتِ الصحيفَة التي سمعتُكم تقرأُون آنفاً أنظُر ما هذا الذي جاء به محمدٌ. يطلب من أخْته أن تعطيهُ الصحيفةَ التي كُتب فيها القرآن كيْ يقرأها، وكان عمرُ يعرفُ القراءَة والكتابَة.

عمر يقرأُ القرآن:

قالت له أخْته بمنتَهى الجرأةِ والشجاعةِ في الحق:

– إنا نخْشاك عليها.

إنَّ هذه الصحيفَة غاليةٌ عليهما لأنّ بها أغَلى ما في الحياةِ، لأنَّ فيها كلامَ اللَّه القرآن الكريم، تقولُ السيدةُ فاطِمة لأخِيها إنها وزوجَها، يخافَان على الصحيفَة منْه، فقالَ عُمرُ:

– لا تخَافِي.

ثم حلفَ لها بآلهتهِ ليردنَّها إليها إذا قرأَها.

هنا طمعَت أخْته في إسلامهِ لما رأتْ حالَه، ورغبتَه في قراءة القرآن ومعْرفَة هذه الكلماتِ التي جعلت أختَه وهي من أقربِ الناسِ إليه تسلمُ وتتركُ دينَ آبائِها، بل وتتحملُ في سبيلِ ذلك الأذَى صابرةً، مثْلها مثْل كل الصحابةِ الكرامِ.وأرادتْ أختُه أن تبدأ معَه من البدايةِ. كيْ تكون نفسُه مستعدةً للإيمانِ، فقالت له:

– يا أخي، إنك نجسٌ، لأنكَ مشركٌ، وإنه لا يمسُّه إلا الطَّاهر.

تخبرُه أن هذا القرآن الكريم عظيمٌ، ليس مثلَ أيّ كلامٍ اعتادَ الناسُ قراءَتَه وهم على أيّ حالٍ، بل يجبُ أن يتطهرَ بالاغتسَال كل من سيبدأُ في قراءَته، وبلطفٍ تعلمه أن يتطهر أولاً قبل أن يلمس كلام الله.

فقام عمرُ فاغتسلَ ثم خرج، فأعطتْه أخته الصحيفَة وفيها آياتٌ من بداية سورةِ طه، فلما قرأَ منها عمرُ بعضَها قال:

– ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه.

فلمّا سمعَ هذه الكلماتِ منه خبَّاب بن الأرت الذي كانَ مختبئاً من عمر طول هذا الوقتِ خرجَ إليه، فقد أحسَّ أن هدايةَ اللهِ بدأت تطرق قلبَ عمرَ، ولقد عرف فيه ليناً تجاه الإسلامِ لم يعرفْه منه من قبل فقال له:

– يا عمرُ: واللهِ إني لأرجُو أن يكونَ اللهُ قد خصَّك بدعوةِ نبيه، فإنِّي سمعتُه أمس وهو يقول: اللهمَّ أيدِ الإسلامَ بأبي الحكم بن هشام، أو بعمرَ ابنِ الخطابِ، فالله الله يا عمرُ.

يقول خبابٌ لعمرَ إنه ليرجُو أن تكونَ دعوةُ الرسولِ العظيم بهدايةِ أبي جهل أو هدايته، قد استجابَ لها الله واختارَه له، اختار أن يعزَّ به الإسلامَ، لقد دعا الرسُول بهذه الدعوةِ أمس وها هيَ البشارَة تتحقَّق اليومَ، وها هي بوادرُ الإيمانِ تظهرُ على عمرَ بوضوحٍ اليوم، ويراهَا خبابٌ رأْيَ العينِ في تغيرِ صفاته، في رقتِه حين قرأَ القرآن، في تبدلِ الشدةِ التي كانتْ ظاهرةً عليه، إلى اللطفِ في القولِ، والإنصافِ في الحكمِ، والاعترافِ بأن كلامَ اللهِ، الذي قرأه لتوه الآن هو أحسنُ الكلامِ وأكرمُه، تلك شهادةٌ تصدر عمنْ؟.. عن عمرَ الذي أرادَ منذُ قليلٍ بعْد أن وسوست له نفسُه، وزينَ له الشيطانُ الرجيم، أن يقْتل الرسُول العظيم، ولا نتعجَّب من تغيرِ المواقفِ، لا نتعجبُ من قسوة عمرَ الواضحَة حين دخولِه البيتَ على فاطمةَ أختِه وسعيدِ بنِ زيد

زوجها، تلك القسْوة التي جعلْته يعتدي بالضربِ على زوجِها، وعندَما تدخَّلتْ لتدافعَ عنه، اعتدَى عليها هي أيضاً حتى شجَّ رأسَها من شدةِ غيظِه حينَما علمَ بإسلامِها، تلك القسْوة التي جعلَت خبابَ بنَ الأرت وهو الصحابيُّ الشجاعُ يتركُ مكانهَ بعيداً عنه، لا نتعجَّب حينما نرى عمرَ بعد دقائقَ وقد اغتسل وأمسَك بالصحيفةِ التي كُتبَ فيها القرآن الكريم فما كادَ يقرؤُها حتى انفتحَ لها قلبُه وأحسَّ بها تلمس شغَافَ نفسِه، وكيفَ لا، وهو يقرأُ للمرة الأولى أعذَب الكلماتِ وأفضلِها، وأروعِها، لا نتعجَّب فإنها الهداية ينعمُ بها اللهُ على من يشاءُ من عبادِه، ولقد أرادَ اللهُ، الخير لعمر، فاستجابَ لدعوة رسُوله العظيم، استجابَ لها بسرَعة، فلم يمضِ يومٌ حتى جاءَ، وغيرَّ من خط سيره فبدلاً من أن يذهبَ إلى الرسُول عازماً على الشرِّ، يشاء اللهُ أن يقابِل نُعيم بن عبدالله وأن يكون نُعيمٌ قد أسلَم وعمرُ لا يعلَم بذلك فتغير كلماتُ نُعيمٍ من خطِّ سيرِ عمرَ وتجعلُه يعودُ إلى دارِه بدلاً من مواصلَة طريقِه حتى دار الرسُول، يذهب إلى دارِ أخته عازماً على ما كان قد أرادَه من قبلُ، وفي دار أختِه تكون نهايةُ المطاف، إذ تلمسُ كلماتُ اللهِ قلبَ عمرَ ليتحقق قدر الله لعمر.

عمرُ يسألُ عن مكانِ الرسُول العظيم.

فقالَ له عندَ ذلك عمرُ:

– فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم.

نعم.. عمر يطلب من خباب أن يرشده إلى مكان الرسُول العظيم حتى يذهبَ إليه فيعلنَ إسلامَه، ولنتذكرْ آخرَ كلماتٍ أخبرَه بها خبابُ، لقد قال له:

– اللهَ . اللهَ يا عُمر.

إنه فرحٌ، شديدُ السرورِ لما يجدُه من تغيرٍّ في شخْصية عمرَ، إنه معجبٌ به، لأَنه يراه يبدأُ المسيرَ الصحيحَ، في طريقِ الإيمانِ، إنه خبابٌ المؤمنُ المخلصُ لدِينه المحبُّ للخيرِ، يتمنَّى أن يهديَ اللهُ جميعَ عبادِه إلى الخيرِ، ويفرحُ أشدَّ الفرحِ لهداية إنسانٍ إلى الخيرِ، وأيُّ إنسانٍ هو؟ إنه عمرُ، الذي دعَا له رسول الله، ومن شدة إعجابِ خبابٍ بالتغيُّر الذي طرأ على عمرَ نطقَ لسانُه من كثرةِ جمالِ الموقفِ:

– اللهَ اللهَ يا عمرُ.

وكان اللهُ قد قدَّر الخيرَ لعمرَ فما أن أنهَى خبابٌ كلماتِه، حتى نطقَ عمرُ بأفضلِ ما نطقَ به في حياتِه، لقد طلبَ أن يلقَى الرسُول العظيم كي يعْلِن إسلاَمه، فقال له خبابٌ والفرحَة تملأُ نفسَه:

– هو في بيتٍ عندَ الصفَا ومعه نفرٌ منْ أصحَابِه(١).

(١) سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ـ ص ٢٨٦.

اللقاء.

أسرعَ عمرُ في السيرْ حتَّى وصل إلى الدار التي يوجد فيها الرسول وجد على البابِ حمزةَ بنَ عبدالمطلب، عم الرسول العظيم، وكان مشتهراً بالقوة أيضاً، كان معه على الباب طلحة وآخرون، كانوا يقِفُون في مكانِهم هذا، مدافعين عن الرسُول بأرواحهِم يردُّون عنه أذَى المشركين، فلما رأى حمزة وأصحابُه عمر خافوا منه، فقال حمْزة:

– نعمْ فهذا عمر فإنْ يرد اللهُ به خيراً يسلمْ ويتبع النبيَّ ﷺ وإن يردْ غيرَ ذلك يكنْ قتلُه علينَا هيِّناً.

هو عمرُ لقد رأَه وتأكَّد منه، ولكنَّه لن يتسرَّعَ في اتخاذِ القرارِ إنه ينتظرُ فإن كانَ قد جاءَ مسْلماً، قد أرادَ الله له الخيرَ يتبعِ الرسُول وإن كان قدْ جاء لشيءٍ غير ذلك، يكونُ قتلُه سهْلاً عليه، وحمزةُ المؤمنُ القويُّ الصلْبُ، قد علَّمُه إيمانُه أن ينتظرَ قبلَ أن يتصرَّفَ أن يتثبت ، ولكن يعد نفسَه للاحتمَالين، يواجُه الموقفَ بكلِّ أبعادِه، بما يحتمِله من خيرٍ، بل ويقدمُ الخيرَ، ولكنَّه مستعدٌّ لغيره.

أما الرسُول فإنه كان في داخلِ الدارِ، ينزلُ الوحيُ عليه، وخرجَ الرسولُ العظيم، فوجدَ عمرَ واقفاً أمام الدارِ، فتقدَم منه، وهو لا يعلمُ بعدُ ما الأمرُ الذي جَعَلَه يأتي إليهِ، فأمسكَ الرسُول العظيم الشجاعُ بمجامِع ثوبِ عمرَ، وحمائِل سيفهِ فقال:

– أَمَا أنت مُنْتَهٍ يا عمرُ حتى ينزِل اللهُ بكَ من الخزْي والنكالِ ما أنزلَ بالوليد بنِ المغيرة؟ اللهمَّ هذا عمرُ بنُ الخطابِ اللهمَّ أعزَّ الدينَ بعمرَ بنِ الخطابِ(١).

إنها عظمةُ وشجاعةُ الرسُول العظيم يسرعُ بلقاءِ عمرَ ويقتربُ منه بل يمسكُ بملابسه، ويحدثُه وجهاً لوجهٍ، يقولُ له أمَا ينتَهي ويكُف عن عدائه للإسلامِ، قبلَ أن ينزلَ عليه اللهُ من العذابِ الشديدِ، ما يكونُ فيه خزْيٌ وعارٌ عليه مثلمَا أنزلَ اللهُ على الوليدِ بنِ المغيرة.

ويكررُ الرسُول العظيم دعاءَه، ويكررُه هذه المرَّة وهو أمامَ عمرَ نفسِه فلا يملكُ عمرُ إلا أن يقول:

أشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ.

ويحققُ اللهُ أمنيَة رسُوله، ويجيبُ دعاءَه، ويكون إسلامُ عمرَ فاتحةَ خيرٍ على هذا الدين، وناصراً لرسُوله، ومعزاً للمسلمين، فماذا كانَ ترتيبُ عمرَ بينهُمْ:

ترتيب عمر بين المسلمين.

يُروىَ أن إسلامَ عمرَ كانَ بعد إسلامِ ما يقربُ من أربعينَ رجلاً وامرأةً من

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ـ ص ٦٠.

المسلمينَ، ولكنَّ الصحيحَ أن عمرَ أسلمَ بعد إسلامِ المئاتِ من الصحابةِ وذلك عند الهجْرة إلى الحبشة، ولكنه على عظَم جميعِ الصحابةَ، يظل نموذجاً فريداً مميزاً، وهكذا كانَ أصحابُ الرسولِ العظيم، لكلٍّ واحدٍ منهمْ شخصيته المميزَة، وتأثيرُه العظيم على الدعْوة، أما تأثيرُ عمر فيظهر في قولِ عبدالله بن مسعودٍ:

كان إسلامُ عمر فتحاً.

نعم لقدْ كانَ فتحاً عظيماً، وحزْناً وغماً وكَمَداً على المشركين، بلْ لقد قالوا بألسنتِهم بعد إسْلام عمَر:

– انتصف القوم منا(١).

فلقد أخذَ المسلمونَ بحقِّهم منهُم، لقدْ صارَ معهمْ رجلٌ، وأيُّ رجلٍ؟ إنه واحدٌ من كبارِ أهلِ مكةَ وأعظمهم وأشدِّهم قوةً، لقد تحولَ بثقلهِ من الكفرَ إلى الإيمانِ، إنه عمر الذي سيعوضُ المسلمين عما فعلهُ قبلَ إسلامهِ، وفي ذلكَ يقولَ عمرُ للرسُّول:

– واللهِ، لن أتركَ مكاناً جلستُ فيه بالكفرِ إلا جلستُ فيه بالإيمانِ(٢).

إنها القدرَة على العملِ حينمَا تجتمعُ فيمن يعتذر إلى اللهِ عمَّا فعلَه من

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ـ ص ٦٠.

(٢) أحلى السمر في سيرة عمر ـ محمد إبراهيم سليم ـ ص ٢٦.

قبلُ، يعتذرُ عملياً بأن يقررَ ألا يتركَ مكاناً قد جلسَ فيه وهو كافر إلا ويذهبُ إليه بقولٍ وفعلٍ جديدينِ مختلفينِ تماماً عمَّا كانَ يفعلُ ويقولُ من قبلُ، لقدْ قررَ أنْ يذهبَ بعملِ الخيرِ، وقولِ الحقِّ، لقد قررَ أن يجهر بالإيمانِ والإسلامِ، وهو غيرُ خائفٍ من ردِّ فعلٍ منَ المشركينَ.

عمر ينشر خبر إسلامه.

يرْوي عمر عما فعلَه في الليلةِ التي أعلَن فيهَا إسلامَه، وشهدَ الشهادتينِ أمام الرسُول العظيم فبعدَ أن فرحَ الصحابةُ فرحاً عظيماً، حتى لقد كبروُا اللهَ بصوتٍ عالٍ، وهبَّ عمرُ بمفردهِ ولنستمعْ إليه وهو يحكي عن نفسِه:

– تذكرتُ مَنْ مِنْ أهلِ مكةَ أشدُّ عداوةً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيهِ فأخبْره أنِّي أسلمْتُ[1].

لله درك يا بن الخطاب، إنك تفكر في أشدٍّ. أهل مكةَ بغضاً وكرهاً للرسُول العظيم حتى تذهبَ إليه، وتخبره بأنك أسلمت، يبحثُ في ذاكرته عن أشدِّ الناسِ بغضاً للرسُول العظيم؛ لأنه سيكونُ أشدَّهم غيظاً لإسلامِ عمرَ فيقولُ عمر:

– قلتُ: إنه أبو جهل ـ وكان عمرُ ابناً لحنتمة بنتِ هشام بنِ المغيرَة ـ قال:

---

(١) خلفاء الرسول ـ خالد محمد خالد ـ ص ١٣٠.

فأقبلتُ حينَ أصبحتُ حتى ضَربتُ عليهِ بابَه. قال عمرُ: فخرجَ إِليَّ أبُو جهلٍ فقالَ:

– مرحباً وأهلاً بابنِ أخْتي، ما جاءَ بكَ.

فقال عمر:

– جئت لأخبرَك أنِّي قد آمنتُ باللهِ وبرسُوله محمدٍ، وصدقتُ بما جاءَ به، قال عمرُ: فضربَ البابَ في وجْهي وقال:

– قبَّحك الله، وقبحَ ما جئتَ بِه.

يصدمُه عمرُ بالحقيقَة ويقولُ له إِنه قد أتَى إِليه كي يخبرَه بأنه قدْ أسلَم وآمنَ باللهِ وبرسولِه، وصدَّق محمداً العظيم، فمن شدةِ غيظِ أبيِ جهلٍ لم يتمالكْ نفسَه، فأغلَقَ البابَ في وجهِه ودَعا عليْه من شدةِ الحقْدِ.

ولم يكتفِ عمرُ بذلكَ، بل راحَ يسألُ الناسَ:

– أيُّ قريشٍ أنقَل للحديثِ؟.

يريدُ منَ الناسِ أن يدلوه على واحدٍ منهمْ يكونُ ممنْ لا يحتفظونَ بسرٍّ قط، ولا يخفُون أمراً، بل يَعْملون على إِذَاعته، فقالوا له:

– جميلُ بنُ معمرٍ الجُمحيّ.

فذهبَ إِليه عمرُ بنفسه وقالَ له:

– أعلمتَ يا جميلُ أني قد أسلمْت ودخلت في دينِ محمد.

يستفزُّه عمرُ كي يخبرَ جميعَ الناسِ بالخبرِ، يقولُ له في صيغَة سؤالٍ هل علمَ بخبرِ إسلامِه، فإن لمْ يكن قد علِمَ فها هُو عمرُ بنفسِه يخبرُه به، فماذا فعلَ جميلُ بنُ معمرٍ هذَا؟

ما كادَ يسمعُ جميلٌ هذه الكلماتِ من فمِ عمَر حتى قامَ من فورِه، يجر ثوبَه لم يتمهَّل حتى ليناقشَه في كلماتِه، أو ليتأكد منْها، بل ذهَب إلى قريشٍ وهمْ في أماكنِ اجتماعِهم حولَ الكعبةِ فصرَخ فيهمْ، فاجتمعُوا حولَه، فقالَ لهم إن عمرَ قد خرجَ عن دينهِم، وعُمر خلفَه يكذبُه، ويخبرهُم أنهُ قد أسلَم، ودخلَ الإيمانُ قلبَه، إذ شهدَ أن اللهَ واحدٌ لا شريكَ له، وأن محمداً رسُوله.

فلمْ يتمالكْ كلُّ الحاضرينَ أنفسَهم.

قريشٌ تعذبُ عمرَ.

فثارُوا علَيه، يقاتلُونه، وهو يردُّ عن نفسِه الأَذى حتى أشرقتِ الشمسُ، وتعب عمر، فقَعَدَ ووقفُوا حولَه، يظنون أنهمْ بأفعالِهم هذه سوفَ يردونَه، أو يرجعُونه إلى دينهِم، أما هُو فلم يهتم بكل هذا بل قال لهم في ثبات وهدوءٍ:

إنه يتحداهُم، يخبرُهم بأن يفعلُوا ما يخطرُ على بالهِم فلن يتخلَّى عنْ دينه.

وبينمَا هُم كذلك إِذْ أقبلَ عليهمْ رجلٌ عجوزٌ فقالَ لهم:

– رجل اختارَ لنفسِه أمراً فماذا تُريدونَ؟ أتروْن بنيِ عدِي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا.

يقولُ لهم إنه قد اختار لنفسِه الإِسلامَ فماذا يريدُ الناسُ منه، وهو العزيزُ عند قومِه، فلن يتركوه لهمْ لذا يطلبُ من الناسِ أن يبتعدِوا عنه، ولكنْ هل رضيَ عمَر عن هذا الرجل الذي أنجاه من أيديِ المشركينَ إنه ليَسأل عنْه بعدَ ذلك فيقُول:

– العاص بن وائِل، لا جَزاه اللهُ خيراً(١).

إنه يدعُو عليْه لأنه أخرجَه من أيدِي هؤلاءِ، لأنه كانَ يودُّ أنْ يُعذبَ في سبيلِ اللهِ أكثرَ!.

---

(١) سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ـ ص ٢٩٨، ٢٩٩.